الظرف الأخير
الظرف الأخير
ك: رحاب حسين «ريحانة»

الظرف الأخير

رحاب حسين

ريحانة

اسم الرواية: الظرف الأخير

الكاتبة: رحاب حسين"ريحانة "

الناشر: دار ياقوت للنشر والتوزيع

المؤسسة: فاطمة محمد

جميع الحقوق محفوظة © للكاتبة والناشر

لا يجوز نسخ أو إعادة نشر أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة دون إذن مسبق.

إهداء

إلى كلِّ من أغلقَ بابًا بيدِه
وإلى كلِّ من وقفَ ينتظرُ خلفَ بابٍ لم يُفتح
وإلى التسعةِ والأربعينَ ظرفًا التي لم تصل
وإلى هذا الأخيرِ الذي وصلَ متأخرًا إليكم.

الجزء الأول

"الظرف الأخير"

الضوء أصفر باهت. الغبار يرقص في الهواء.
دفعت الباب بكتفها. فملأ صريره الشقة الفارغة.

خطت إلى الصالة. أحدث حذاؤها صدىً على البلاط.
المكتبة خاوية. الستائر ممزقة. وفي الركن صندوق كرتوني واحد فقط.

جثت على ركبتيها. فتحت الصندوق.
صور. دفاتر. تذكرة قطار قديمة.
وفي القاع، ظرف بني. كُتب عليه: "إلى ليلى".
خطه. تعرفه حتى وهي مغمضة.

نزعت الظرف ببطء. الورقة داخله مطوية ثلاث طيات.

"ليلى، إن قرأتِ هذا فإني قد رحلت.
رحلت لأني أحببتك أكثر مما أحببت نفسي.

كل يوم وعدتك بالغد. غدًا سأجد عملاً. غدًا سأغدو جديرًا بك.
ولم يأتِ الغد.
فاخترت الرحيل قبل أن أراكِ تخجلين مني.
اغفري لي."

انتهت من القراءة. ظلت ساكنة.
وضعت الورقة على ركبتها. أخرجت هاتفها.
آخر رسالة بينهما قبل أربع سنوات:
"سأسافر غدًا. لا تنتظريني."
"حسنًا."

نهضت. دارت في الشقة: المطبخ. الحمام. الشرفة.
على الشرفة صندوق خشبي صغير. فتحته.
في داخله خاتم ومفتاح وورقة صغيرة.

قرأتها.

"هذا مفتاح شقتنا الجديدة، في 18 شارع النخيل.
أنتظرتك هناك. كل يوم."

ارتجف قلبها. حملت المفتاح والظرف وخرجت راكضة.
سيارة أجرة. "شارع النخيل 18. أسرع."

العمارة حديثة. المصعد صامت. الطابق الخامس.
باب أبيض. لا اسم عليه.

أدخلت المفتاح. دار.
طق.

الشقة نظيفة. تفوح منها رائحة القهوة.
على الطاولة مزهرية فيها ورد أبيض ذابل بعض الشيء.
وعلى الحائط صورة لهما. هي نفس الصورة التي في الصندوق.

تقدمت خطوة. ثم خطوة أخرى.
تسلل من المطبخ صوت ماء يغلي.
الباب موارب. يتصاعد منه البخار.

مدت يدها إلى المقبض. توقفت.
صوت من الداخل. هادئ. مألوف.
"تأخرتِ كثيرًا يا ليلى."

تجمدت في مكانها.

ودار المقبض من الداخل قبل أن تلمسه.

ودار المقبض من الداخل قبل أن تلمسه.
انفتح الباب ببطء.

وقف في العتبة.
نفس الطول. نفس الكتفين. لكن الشيب غزا شعره. وأنهك الانتظار وجهه.
في يده فنجان قهوة. يتصاعد منه البخار.

لم يتكلم.
وهي أيضاً لم تنطق.
الهواء بينهما ثقيل برائحة القهوة والسنين.

رفع عينيه إليها.
"ظننتكِ لن تأتي."

خطت إلى الداخل. كان قلبها يخفق في صدرها.

الشقة كما وصفتها الرسالة. الورد الذابل. الصورة على الحائط. وعلى الطاولة... ظرف تاسع. كُتب عليه: "إلى ليلى. إن عدتِ".

ارتجفت يدها. لم تمسكه.
"لماذا لم ترحل؟" سألته أخيراً. وكان صوتها مبحوحاً.

وضع الفنجان. واقترب خطوة.
"لأني وعدت بالغد. ولم آتِ أنا."
صمت. ثم أضاف: "فبقيت أنتظر الغد الذي يأتي بكِ."

نظرت إلى الأرض. إلى الخاتم الذي في الصندوق الخشبي.
"وهذا؟" أشارت إليه.

"كان لكِ. وضعته هنا في اليوم الأول.
قلت: إن عدتِ، ستجدينه. وإن لم تعودي... فليبقَ شاهداً."

خيم الصمت.
وما زال الماء يغلي في المطبخ. وكان صفيره يقطع السكون.

تقدمت نحو المطبخ. وأغلقت الغاز.
عادت. ووقفت أمامه. وبينهما مسافة أربع سنوات.

مد يده. فلم تتراجع.
أمسك يدها. كانت باردة.
"هل سامحتني؟"

نزعت يدها ببطء. فتحت حقيبتها.
أخرجت الظرف البني الأول.
مزقته نصفين. ثم أربعة.
وألقته في سلة المهملات قرب الباب.

رفعت عينيها إليه.
"لا."

ثم أشارت إلى الظرف التاسع على الطاولة.
"ولكني سأقرأ هذا."

استدارت ومضت إلى الشرفة.
وتركته واقفاً... والمفتاح في يدها.

وفي الخارج، هطل المطر. ولم يكن معها مظلة.

الجزء الثاني

وفي الخارج، هطل المطر. ولم تكن معها مظلة.

الشرفة باردة. بللت قطرات المطر طرف عباءتها.
في يدها المفتاح. بارد وثقيل.
وفي الداخل، سُمع صوت خطواته. لم تقترب. ولم تبتعد. وقف عند عتبة الشرفة.

"ليلى."

لم تلتفت.
"اقرئي الظرف." قالها بصوت منخفض.

ضحكت ضحكة قصيرة مكسورة.
"بعد أربع سنوات؟ تريدني أن أقرأ؟"

تقدم خطوة. وتوقف عند الباب الزجاجي.

الفاصل بينهما زجاج ومطر وأربع سنوات.
"كتبت لكِ واحداً كل شهر. تسعة وأربعين ظرفاً.
وهذا هو التاسع والأخير. أما البقية فقد أحرقتهم."

ارتجفت.
التفتت إليه ببطء. وكان الماء ينزل من شعرها على وجهها.
"ولماذا لم ترسل أياً منها؟"

"لأن الجبان لا يستحق أن تصله رسائله."
صمت. ثم همس: "والعنيد لا يستحق أن يُغفر له."

خيم الصمت مرة أخرى. ولم يُسمع إلا صوت المطر على الصفيح.

مدت يدها. وأخذت الظرف التاسع من على الطاولة.
لم تفتحه. ووضعته في جيبها.

"سأقرأه. لاحقاً."

"وأين؟" سألها.

نظرت إلى الشارع. الشوارع خاوية. والمصابيح صفراء.
"في بيتي. وحدي."

اتجهت إلى الباب. فتوقف.
"المفتاح." أشار إلى يدها.

نظرت إلى المفتاح النحاسي. ثم إليه.
وألقته على الأرض. فَرَنّ على البلاط.

"احتفظ بشقتك الجديدة. وبالغد الذي لم يأتِ."

فتحت باب الشقة. وخرجت.

ولم تغلق الباب خلفها.

نزلت الدرج. وكان المطر يضرب وجهها.
وصلت إلى الشارع. لا سيارة أجرة. ولا أحد.

أخرجت الظرف من جيبها. وقد ابتل طرفه.
فكت الشريط. وسحبت الورقة.
سطر واحد فقط بخطه:

"إن عدتِ، فاعلمي أني لم أرحل يوماً. كنت أنتظرك عند الباب."
طوت الورقة. ورفعت وجهها إلى السماء.
والمطر يغسلها.

وللمرة الأولى منذ أربع سنوات... لم تبكِ.

وللمرة الأولى منذ أربع سنوات... لم تبكِ.

كان المطر يغسل وجهها. وخطواتها على الأسفلت تصنع دوائر صغيرة.
لا سيارة أجرة. ولا مأوى. وكان شارع النخيل يبتلعها وحيدة.

توقفت تحت عمود إنارة. رسم الضوء الأصفر الباهت هالة حولها.
أخرجت الظرف مرة أخرى. وقد بدأ الحبر يسيح.
قرأت السطر للمرة الثانية. ثم الثالثة.
"كنت أنتظرك عند الباب."

فضحكت ضحكة بلا صوت.
"وأنا انتظرتك في كل الأبواب الأخرى."

رفعت رأسها إلى البناية. الطابق الخامس. كان النور لا يزال مضاءً في المطبخ.
وكان ظله يتحرك خلف الزجاج. واقفاً. لا يتحرك.

فلم تصعد.
وأدارت ظهرها ومضت.

مضت والماء يتسرب إلى حذائها.
وكل خطوة تبعدها كانت تقطع خيطاً من خيوط الأربع سنوات.

عند أول تقاطع، لمحت كشكاً صغيراً مفتوحاً.
فاشترت ظرفاً جديداً. أبيض. نظيفاً.
وأخرجت قلماً من حقيبتها.

جلست على الرصيف المبتل. وكتبت:

*_"عدت. فلم أجدك.
وجدت قهوتك، ووردك الذابل، وظلك.
أما أنت... فكنت دائماً تنتظر عند الباب الخطأ."_*

طوت الورقة. وأدخلتها في الظرف الأبيض.
وكتبت عليه: "إلى من ينتظر."

عادت إلى البناية. ولم تركب المصعد.
وصعدت الدرج ببطء. إلى الطابق الخامس.

كان الباب الأبيض لا يزال مواربًا.
فلم تدخل.
وضعت الظرف الأبيض على الأرض. أمام الباب مباشرة.
ودفعته ببطء بإصبعها حتى دخل.

ثم انصرفت.

وفي الطريق، اشترت مظلة.
وللمرة الأولى منذ أربع سنوات... اختارت أن لا تبتل.

وعند الفجر، فتح هو الباب. فوجد ظرفاً أبيض.
وفي داخله سطر واحد. وتوقيعها: *"ليلى"*

"الظرف الأخير"

الجزء الثالث والأخير

وعند الفجر، فتح هو الباب. فوجد ظرفاً أبيض.
وفي داخله سطر واحد. وتوقيعها: *"ليلى"*

"عدتُ. فلم أجدك.
وجدت قهوتك، ووردك الذابل، وظلك.
أما أنت... فكنت دائماً تنتظر عند الباب الخطأ."

قرأها مرة. ثم مرتين. ثم جلس على الأرض.
أسند ظهره إلى الباب الأبيض. وكان الظرف يرتجف بين أصابعه.

في الخارج، توقف المطر.
ودخل أول ضوء من الشرفة. ضوء أصفر باهت.

دخل المطبخ. وكان الفنجان لا يزال على الرخام. بارداً.
والمزهرية فارغة. وقد كان رمى الورد الذابل في الليلة السابقة.

جلس. ولم يشرب.
ولأول مرة منذ أربع سنوات... لم ينتظر أحداً.

مرت ساعة. ثم اثنتان.
فتح هاتفه. وكان الرقم محفوظاً باسم "ليلى". لم يتغير.
فكتب: "فهمت."

ثم محاه.
وكتب: "سامحيني."

ثم محاه.
وفي النهاية أرسل فراغاً. نقطة واحدة فقط. ".

وفي الجانب الآخر من المدينة، استيقظ هاتفها.
فرأته. ولم تفتحه.

ووضعت الهاتف على الطاولة. إلى جوار المظلة الجديدة.

ارتدت معطفها. وخرجت.
وكانت الشمس قد أشرقت. والشوارع لا تزال مبتلة.

ذهبت إلى البحر. وجلست على الصخور.
وأخرجت الظرف التاسع من جيبها. الذي لم تفتحه في الليلة الماضية.

فكّت الخيط. وقرأت:

"إن عدتِ، فاعلمي أني لم أرحل يوماً. كنت أنتظرك عند الباب."

فابتسمت. ابتسامة صغيرة حقيقية.
ولأول مرة منذ أربع سنوات.

ومزّقت الورقة. وألقتها في البحر.
فحملتها الأمواج.

وفي المساء، عاد إلى الشقة.
فوجدها فارغة. كما تركها.
فأخذ الصندوق الكرتوني وألقاه.
وأخذ المفتاح النحاسي ووضعه في الدرج.

ثم أغلق الباب.
ولم يترك الضوء هذه المرة.

وانتهت قصة لم تُكتب... بظرفين لم يصلا في وقتهما.

خاتمة

انتهت القصة، ولم ينتهِ الانتظار.

لأن بعض الأبواب، حتى بعد أن تُغلق... تظل مفتوحة في قلوبنا.

هو فهِم متأخرًا أنها كانت تنتظره عند الباب.

وهي فهمت متأخرةً أنه لم يرحل يومًا.

تأخرت الرسائل. وتأخر الاعتذار. وتأخرت الشجاعة.

فصار اللقاء مستحيلًا... وصار الفراق الشيء الوحيد الذي وصل في وقته.

رمى المفتاح النحاسي، وأطفأ النور.

ولم يعد ينتظر أحدًا عند الباب الخطأ.

ومزّقت هي الورقة وألقتها في البحر... كي لا يبقى شيء يربطها بالأمس.

ليست كل النهايات موتًا.

بعضها حياة جديدة... تبدأ حين نتوقف عن انتظار من لا يأتي.

الظرف الأخير" لم يكن ظرفًا. كان وداعًا.

ك: رحاب حسين«ريحانة»

أربع سنوات من الانتظار.
تسعة وأربعون ظرفًا احترقوا.
وظرف واحد وصل متأخرًا.

قصة عن الأبواب التي
أغلقناها بأيدينا،
وعن "الغد" الذي
لا يأتي أبدًا.

"الظرف الأخير..."
هي القصة التي لم تُكتب.

ISBN 978-977-12345-6-7
9 789771 1234567

ياقـــوت
للنشر والتوزيع الالكتروني